

مغالطات أذوية أن الكون نشأ من لا شيء دون الحاجة لخالق

د. ربيع أحمد

أكذوبة أن الكون نشأ من لا شيء دون الحاجة لخالق يقول صاحب الأكذوبة: " نحن نعرف الآن وبدقة أن الكون مسطح ،ومجموع الطاقة فيه صفر ،ومن الممكن أن يبدأ من لا شيء ... لا حاجة لله لخلق الكون " .

ويتحدث هذا الملحد عن اللاشيء فيقول : " أبسط أنواع اللاشيء لا شيء في داخله لا جزئيات لا إشعاعات لا شيء هذا النوع من اللاشيء تبين أنه مليء بالأشياء ؛ لأنه نظرا لقوانين ميكانيكا الكم والنسبية الفراغ كالمشروب المغلي الذي يبقب بالجسيمات الافتراضية والتي تظهر وتختفي من الوجود في كل لحظة .

في واقع الأمر هذا النوع من اللاشيء إذا انتظرت فترة طويلة كافية فستضمن لك قوانين ميكانيكا الكم إنتاج شيئا ما . في الواقع : بمجرد تطبيق قوانين ميكانيكا الكم على الجاذبية نفسها الفضاء نفسه يصبح متغير ميكانيكي كمي ،ويتقلب داخل وخارج الوجود ،ويمكنك من خلال قوانين ميكانيكا الكم خلق الأكوان خلق الزمان خلق المكان حيث لم يكن هناك أي من المكان والزمان من قبل " .

و يتكلم هذا الملحد عن أحد كتبه ، وهو كتاب كون من لا شيء **A Universe from Nothing** فيقول : " كتابي الجديد كون من لا شيء يصف التغير الثوري في تفكيرنا حول بعض

المبادئ التي كانت متواجدة منذ أمد بعيد ،وهي الشيء واللاشيء .السؤال القائل : لماذا الشيء موجود واللاشيء غير موجود ؟ كان متواجدا بيننا على طول التاريخ البشري بشكل أو بآخر من خلال الفلسفة و الدين .

ما فعله العلم أنه غير حقل هذا السؤال ؛ لأننا اكتشفنا أن ما يعتبره أغلب الناس لا شيء هو ليس فقط مثير للاهتمام ، وإنما اللاشيء ممكن أن يكون شيئا . وفي الواقع اللاشيء غير مستقر ما أقصده من كلامي هو أننا اكتشفنا أن الفضاء الفارغ ، وهو ما يعتبره أغلب الناس لا شيء إذا أخذنا جزء منه ، وجردهنا من الإشعاعات والجزئيات بحيث لا يكون فيه أي شيء سيكون لهذا الجزء وزن .

نحن حتى لا نفهم السبب ، ولكن عندنا تلميحات لأننا نعلم أنه بسبب ميكانيكا الكم وبسبب النسبية على مستوى أساسي الفضاء الفارغ هو عبارة عن مزيج يغلي مكون من جزيئات ظاهرية /افتراضية تتواجد وتتوقف عن الوجود على مدى فترة زمنية قصيرة جدا بحيث أننا لا نراها هذا يبدو كأنه فلسفة كأنه محاولة لعد الملائكة على رأس إبرة لكنه ليس كذلك ؛ لأنه مع أننا لا نرى هذه الجزيئات الافتراضية بشكل مباشر لكننا نرى أثرها بشكل غير مباشر .

في الواقع نستطيع أن نحسب أثرها و أثر خاصيات الذرات ، وهذا قاد إلى أفضل التوقعات في العلم نستطيع أن نقارن نماذجنا النظرية مع ملاحظتنا ، ونصل إلى اتفاق حول تسع أرقام عشرية لا نستطيع في أي مجال آخر بالعلم أن نفعل هذا أي أن نتوقع شيء من المبادئ الأولية بهذه الدقة ، ولكننا لا

نحصل على الجواب الصحيح إلا إذا شملنا آثار الجزئيات النظرية مع أنه هذا يبدو من الجنون لكنه حقيقي و بسبب هذا الجنون ..نعلم أن الفضاء الفارغ قد يكون له خاصيات لم نتخيلها من قبل .

مازلنا لم نصل إلى الجواب الصحيح عندما نحاول أن نحسب طاقة الفضاء الفارغ كاملة في الكون ،وهو لغز كبير بل هو أكبر لغز في كل العلوم لكننا نعلم أن له خاصيات غريبة ،وعندما نضيف الجاذبية إلى هذا المزيج ،والجاذبية لها أن تعطي الأشياء طاقة سالبة وموجبة نجد أن الفضاء الفارغ الذي ليس فيه جزيئات ينتج جزيئات بشكل عفوي من دون خرق قانون حفظ الطاقة .

في البداية كانت الطاقة الكلية صفر ،وفي النهاية مازالت صفر لكن في البداية كان عندك فراغ ،وبالنهاية أصبح عندك كون مليء بالأشياء تبدو العملية وكأنها معجزة ،ولكنها ليست معجزة كل ما تحتاجه هو قانون الطبيعة .

في الواقع إذا انتظرت مدة كافية من المضمون أن الفضاء الفارغ سينتج جزيئات بالتالي اللاشيء هو غير مستقر ،وسيكون من المفاجئ أن نجد اللاشيء لكن لو كان اللاشيء موجودا ما كنا هنا لنسأل هذه الأسئلة .

وهناك جوانب كثيرة مذهلة حول اللاشيء ؛ لأنه بإمكانك أن تقول والكثير يقولون أن الفضاء الفارغ بحد ذاته هو ليس لاشيء ،وبالطبع تبين أننا إذا طبقنا قوانين الفيزياء وميكانيكا الكم على الجاذبية الفضاء نفسه سيكون جزءا متحركا .

نحن نعلم بشكل عام أن الفضاء يتمدد وينقبض و ينحني بحضور المادة ،وإذا جعلته من ضمن ميكانيكا الكم فحتى الفضاء يمكنه أن يتواجد ،ويتوقف عن الوجود فتستطيع أن تخلق أكوان حيث لم يكن هناك أكوان من قبل ،وبالطبع قد تتخيل كونا حرفيا من لاشيء لا فضاء ولا زمن ...

ومن المذهل أن يكون عندنا مجموعة من المنظومات الفيزيائية العادية التي تأخذنا من اللا فضاء واللا جزئيات إلى كون كالذي نعيش فيه ،والذي يحتوي على كل خصائص الكون الذي نتوقع أنها خلقت من لا شيء " .

و في كلام هذا الملحد العديد من المغالطات فقولهُ أن الكون نشأ من لا شيء دون الحاجة لخالق يخالف البديهية القاضية أن أي الفعل لا بد أن يكون له فاعل ، وأي حدث لا بد أن يكون له محدث و أي أثر لا بد أن يكون له مؤثر ،و لا يمكن أن يحدث الفعل بلا فاعل .

وهذا الملحد - هداه الله - قدح في قضية بديهية وهي وجوب وجود خالق للكون بإحدى نظريات ميكانيكا الكم ، و بما أن النظريات مؤلفة من البديهيات، فلو جاز القدح في البديهيات بالنظريات

لزم فساد البديهيات والنظريات، فإن فساد الأصل يستلزم فساد فرعه، فتبين أن من سوغ القدرح في القضايا البديهية الأولية الفطرية بقضايا نظرية فقولته باطل^١.

و قول الملحد أن الكون نشأ من لا شيء دون الحاجة لخالق يستلزم أن اللاشيء يتحول إلى شيء وهذا يخالف البديهة القاضية أن اللاشيء لا يمكن أن ينتج شيئا، ولا يمكن لشيء أن يأتي من العدم، وفاقده الشيء إذا كان لا يملكه ولا يملك أسبابه لا يعطيه فكيف يعطي العدم الوجود !!؟، وكيف يعطي اللاشيء شيئا !!؟

و اعتبر الملحد الفراغ لا شيء و خلط بين اللاشيء و الفراغ الكمي، و الفراغ الكمي - حسب ميكانيكا الكم - يعتبر شيئا موجودا ممتلئ بجسيمات افتراضية من المادة والمادة المضادة و يحدث فيه تموجات ومن هذه التموجات يمكن أن تتخلق أزواج من الجسيمات والجسيمات المضادة، ولا يمكن فصل هذا الفراغ الكمي عن الكون أما اللاشيء أو العدم فهو ضد الوجود أو اللاوجود أو انعدام الوجود بجميع صورته و أشكاله أي لا يوجد أي شيء تماما لا مادة و لا طاقة ولا زمان ولا مكان، و نحن نعلم أن الشيء هو ما يتصور أو يخبر عنه، ويراد به أساسا الموجود و يقابل المعدوم^٢.

و قد أدعي أن أغلب الناس تعتبر الفضاء الفارغ لا شيء وهذا غير صحيح فإذا فرضنا تجريد المكان من الإشعاعات والجزيئات والجسيمات والمادة بحيث لا يكون فيه أي شيء من هذه الأشياء

١ - منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١٥١/٢

٢ - المعجم الفلسفي لجمع اللغة العربية ص ١٠٤

فالمكان الذي كان يحوي هذه الأشياء التي جردت منه مازال موجودا ، وهو شيء موجود و ليس لا شيء ، و إن كان ليس بشيء مادي أو جسماني ، و الفراغ ليس معناه اللامكان بل معناه مكان جُرد من الإشعاعات والجزيئات والجسيمات والمادة .

و يحدث في الفضاء الفارغ أو الفراغ الكمي **quantum vacuum** تذبذبات كمومية **quantum fluctuation** و التي تؤدي إلى وجود جسيمات افتراضية **virtual particles** تظهر وتختفي من الوجود في كل لحظة ، و بالتالي الفراغ الكمي شيء يحدث فيه أشياء .

و حسب مبدأ عدم التأكد لهيزنبرج يستحيل أن يخلو الفراغ من الطاقة وأنه سيبقى حد أدنى من الطاقة **zero point energy** لا يمكن النزول عنه ولا يمكن أن تصل الطاقة إلى صفر ، وهذا القدر من الطاقة يعتبر شيئا من ضمن الأشياء مع العلم أن المادة والطاقة وجهان لعملة واحدة أو يمكن اعتبارهما صيغتين مختلفتين لجوهر واحد قابلتين للاستحالة من إحداهما إلى الأخرى^٣ .

و أدعي الملحد وجود فضاء فارغ خال من كل شيء - أي فراغ محض - فراغ خال من المادة والطاقة ، وهذا يخالف مبدأ عدم التأكد إذ يستحيل أن يخلو الفراغ أو الخواء من الطاقة تماما وأنه سيبقى حد أدنى من الطاقة لا يمكن النزول عنه ولا يمكن أن تصل الطاقة إلى صفر وبالتالي لا يوجد مكان طاقته صفر حقيقي .

^٣ - تأملات في الفيزياء الحديثة لعلي الشوك ص ٢٤٤ الطبعة الأولى ٢٠١٢ م

والطاقة في الخواء **vacuum** أمر حقيقي، وليس الخواء في الفيزياء الحديثة جيبا لا يحوي شيئا فهو يمحض بنشاط غير مرئي حتى في درجة حرارة الصفر المطلق التي تتوقف عندها - حسب التعريف- حركة الجزيئات^٤.

و لو بذلنا كل قدرتنا في إفراغ منطقة معينة من الفضاء من كل الطاقات فإن هناك قدر من الطاقة سيبقى ولا يمكن إخراجها وهذا القدر من الطاقة يعتبر شيئا من ضمن الأشياء ، وبالتالي ليس هناك شيء اسمه فراغ محض في هذا الكون ولا عدم تام من كل شيء في هذا الكون .
و هذا الملحد يناقض نفسه إذ كيف يدعي أن الكون خلق من لا شيء ، وهو يشرح آلية نشأة الكون من الفضاء الفارغ عبر التموج الكمومي **quantum fluctuation** !!؟ والفضاء الفارغ شيء موجود في الزمكان المحيط به ، وليس عدما و ليس لا شيء أضف إلى ذلك أن آلية نشأة الكون تطوي في معناه وجود فاعل منشئ للكون .

و أدعي الملحد أن الجسيمات الافتراضية تخرج من لا شيء ، وهذا غير صحيح فهذه الجسيمات الافتراضية خرجت من مكان ما في الكون - و ليس خارج الكون - خلال فترات قصيرة جدا من الزمن ، والمكان الذي خرجت منه له طاقة إذ لا يمكن أن يوجد مكان خال من الطاقة تماما حسب مبدأ عدم التأكد .

^٤ - اتجاهات في الفيزياء استغلال طاقة نقطة الصفر مجلة العلوم يوليو ١٩٩٨ مجلد ١٤

ومجرد ظهور الجسيمات تحت الذرية في الفراغ الكمي و اختفائها عبر التموجات الكمومية لا يستلزم أن يكون الكون بأكمله قد نشأ عبر التموجات الكمومية .

وأدعي الملحد أن قوانين ميكانيكا الكم يمكن أن تخلق الكون بدلا من أن يقول أن قوانين ميكانيكا الكم يمكن أن تفسر كيفية نشأة الكون ، و العلم يعرفنا كيف تعمل الأشياء ، و ليس لماذا تعمل الأشياء ومن الذي عملها ؟ أي يعرفنا آلية عمل الأشياء ، وطريقة عملها ، ولا يفسر العلم لنا لماذا تعمل الأشياء ؟ ، ومن الذي جعلها تعمل بهذه الطريقة ؟ فلا يبحث العلم عن الفاعل بل يبحث عن الفعل ، ولا يبحث عن الحادث بل يبحث عن الحدث ، ولا يبحث عن موجد القوانين بل يبحث عن القوانين نفسها .

وما أجمل ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن حَبَنَّة الميْداني : (قد يعض الكلب الحجر الذي رآه يتجه نحوه ليصيبه، أما الإنسان المفكر فإنه يبحث عن الذي رمى الحجر نحوه بقصد، فإذا عرفه واستبان أنه قد قصد قتله أو إيذائه حاول أن ينتقم منه دفاعاً عن نفسه، ولم يفكر بالانتقام من الحجر مطلقاً.

وهنا نقول: إن الماديين الذين يقفون عند الأسباب المادية للظواهر الكونية التي يتجلى فيها القصد، ولا يبحثون عن السبب الحقيقي، مع أن هذه الأسباب تحتاج هي أنفسها إلى أسباب تفسر ظواهرها وتعلل حدوثها، إنما يفكرون بمثل دماغ الحيوان الذي يعض الحجر الذي قُذِف عليه)°.

° - كواشف زيوف للشيخ عبد الرحمن الميْداني ص ٥٢٢

ولا يمكن لقوانين ميكانيكا الكم أن تنتج شيئاً للوجود، ولا يمكن لقوانين ميكانيكا الكم أن تنتج حدثاً من الأحداث بل غاية قوانين ميكانيكا الكم تفسير الظواهر التي تحدث على مستوى الذرة والجسيمات تحت الذرية بعدما أوجدها الأسباب .

ومن يعتقد أن قوانين ميكانيكا الكم تستطيع أن تسبب شيئاً من الأشياء كمن يعتقد أن القوانين الحسابية يمكن أن توجد مالا، و كمن يعتقد أن القوانين التي تعمل بها السيارة يمكن أن تخلق السيارة أو تسير السيارة دون الحاجة لمن يقودها و هذا قول في غاية السخف والسقوط .

ومن البديهيات أن وجود قانون ما يدل على وجود مقنن واضع لهذا القانون سن هذا القانون، وواضع القانون (الفاعل) لا بد أن يسبق القانون (المفعول)، وإذا كانت ميكانيكا الكم لها مجموعة من القوانين فلا بد أن يكون لهذه القوانين مقنن فمن الذي فرض و سن هذه القوانين ؟

والجواب الذي سن هذه القوانين التي تحكم الذرة والجسيمات تحت الذرية إما أن تكون الذرة والجسيمات تحت الذرية نفسها أو القوانين نفسها أو شيء آخر خارج عن الذرة والجسيمات تحت الذرية .

و إن قالوا الذرة والجسيمات تحت الذرية نفسها فمقتضى قولهم أن الذرة والجسيمات تحت الذرية وضعت القوانين لنفسها قبل أن توجد و هذا محال .

و إن قالوا من سن هذه القوانين القوانين نفسها فهذا تصوير للقوانين على أنها فاعل محرك و هذا فاسد ؛ لأن القوانين مجرد وصف سلوك لظاهرة في الكون يتكرر تحت نفس الظروف .

و إما أن يكون من سن القوانين شيء خارج عن الذرة والجسيمات تحت الذرية فهذا إثبات لشيء خارج عن الذرة والجسيمات تحت الذرية ونحن نقول أنه الله .

و توهم الملحد أن نشأة الكون لا تحتاج سوى قوانين الطبيعة مع أن نشأة الكون تحتاج إلى مادة لينشأ منها و منشئ للمادة التي ينشأ منها الكون و منشئ للكون ، و إن قالوا أصل الكون طاقة فمن الذي أوجد هذه الطاقة و من الذي صير هذه الطاقة مادة ؟ .

و القضية ليست نشأة الكون فقط إذ بعد نشأة الكون الكون بحاجة إلى حفظ و رعاية فمن الذي يحافظ عليه ويرعاه ؟ و من الذي جعل الكون مستمرا في الوجود ؟ و من الذي جعل الكون صالحا لحياة البشر و سائر الكائنات الحية ؟ و من الذي جعل الكائنات الحية تنمو وتتكاثر ، و من الذي

وضع فيها القابلية للنمو والتكاثر ؟ و من الذي وضع غريزة في الذكر للأنثى ، وغريزة في الأنثى للذكر !!؟ ومن الذي خلق للذكر أنثى و للأنثى ذكر ؟ و من الذي أعطى لكل كائن حي ما يصلحه في حياته ، وكأن الكون معد له قبل أن يوجد على الأرض ؟، و من الذي علم الكائن الحي كيف ينتفع بالشيء الذي يصلحه في حياته خاصة أوائل الكائنات الحية ؟

ونسى هذا الملحد أن الزمان و المكان وجدا بعد نشأة الكون ، وقبل نشأة الكون لم يكن للمكان و لا للزمان و لا للفراغ الكمي وجود ، و بعد نشأة الكون وجد الزمان والمكان و الفراغ الكمي ، وعليه فدعوى أن الكون نشأ من تذبذبات كمومية في الفراغ الكمي دعوى باطلة بينة البطلان .

